

بقي في المستشفى حوالي الأسبوع، وفي اليومين الأخيرين فقد وعيه كلياً إلى صباح الأحد في الثامن عشر من شهر محرم الحرام سنة (١٤٠٢هـ - ١٩٨١م) قبل الظهر بثلاث ساعات، حيث وافته المنية.

وعليه، يكون مجموع عمر العلامة الطباطبائي واحد وثمانون عاماً قضاها في خدمة العلم والمعرفة، وتجلّت هذه الخدمة للعلم بالآثار القيّمة التي تركها، والتي سوف نستعرضها في سياق هذا البحث.

ولأجل نشر الخبر وإعلام الأعلام والناس من سائر المدن للمشاركة، تأجلت مراسيم الدفن إلى اليوم التالي، ونقل جثمانه في التاسع عشر من محرم الحرام من مسجد الإمام الحسن المجتبي (عليه السلام) إلى صحن مقام السيدة فاطمة (عليها السلام) (١) شقيقة الإمام الرضا (عليه السلام) (٢) بحضور جمع غفير ضمّ مختلف الفئات من الناس وآلاف من الطلاب الغارقين في الحزن والأسى العميقين.

وصلّى على جثمانه السيد محمد رضا الكلبايكاني، ودفن في القسم الأعلى من جهة الرأس لقبر السيدة فاطمة (عليها السلام)، ملاصقاً لقبر السيّد أحمد الموسوي الخونساري وقرب قبر الحائري اليزدي (٣).

(١) ولقبها المعصومة وقبرها في قم جنوبي طهران.

(٢) ثامن أئمة أهل البيت عند الشيعة الإمامية، فهو علي بن موسى بن جعفر بن محمد بن علي بن الحسين أخ الحسن ابني علي بن أبي طالب (عليه السلام).

(٣) من المراجع المبرزين عند الإمامية.

ثالثاً سيرته الفكرية

أساتذته^(١):

تنقل الطباطبائي بين بيئات علمية ثلاث (تبريز والنجف وقم)، نشأ وترعرع ومارس نشاطه العلمي في ظلها.

كانت البداية في تبريز حيث تلقى علومه الابتدائية فيها، ومن ثم انتقل إلى تحصيل العلوم الدينية في ظل نمط علمي خاص، ونظام تعليمي معين، يعرف بنظام الحوزة^(٢) الذي يعود في أصل نشأته إلى الحلقات العلمية الأولى التي كانت تعقد في المساجد منذ الفتح الإسلامي، وبمرور الزمن تطور هذا النمط من التعليم وأصبح متميزاً في مراحل الدراسة الثلاث، وفي طبيعته التعليمية.

ولقد تأسست على غرار هذا النظام منذ القديم مراكز علمية متعددة، مثل: حوزة النجف وكربلاء وقم وتبريز ومشهد وأصفهان وسامراء وغيرها.

(١) الطباطبائي ومنهجه في تفسير الميزان، م.م، ص ٤٥ - ٥٢.

(٢) الحوزة لغة: هي الجمع، وفي الحديث: . . . حوزة الإسلام أي حدوده ونواحيه. راجع: ابن منظور، جمال الدين محمد بن مكرم، لسان العرب، مؤسسة الأعلمي، بيروت، ط ١، ٢٠٠٥م، المجلد الأول، ص ٩٨٥.

وتخرّج من هذه المراكز العديد من المراجع والعلماء، الذين عملوا على نشر الدعوة الإسلامية، وأثروا الفكر الإنساني بالعلوم في كافة الميادين.

وتتوزع هذه المراحل الدراسية الثلاث على الشكل التالي:

١ - المرحلة الأولى: وهي التي تقوم مقام الدور الابتدائي أو ما تعارف عليه (دراسة المقدمات)، حيث يدرس فيها الطالب النحو والصرف والعلوم البلاغية والعروض وبعض النصوص الأدبية ومبادئ أولية عن الفقه والأصول والمنطق، وكذلك الأخلاق والسيرة وأحكام التجويد وبعض علوم القرآن.

حصّل الطباطبائي علوم هذه المرحلة في تبريز على يد أفاضل أسرته الذين اشتهروا بالعلم والتقوى، أبرزهم كان الشيخ محمد علي السراي^(١).

٢ - المرحلة الثانية: وهي التي تقوم مقام الدور المتوسط، والتي يعبر عنها بمرحلة (السطوح)، ويدرس فيها الطالب بشكل معمق الكتب الفقهية والأصولية والفلسفية والحكمة العملية وعلم الكلام والحديث والدراية.

وأيضاً في هذه المرحلة، كان تحصيل الطباطبائي في تبريز على يد الأساتذة المعروفين والمبرزين في أسرته، والذين كانوا يشرفون على الحوزة آنذاك.

وعن هذه المرحلة وما قبلها، نقل السيد الطهراني حادثة جرت مع

(١) الشمس الساطعة، م.م، ص ٣٥، وهذا الشيخ عيّن لتدريس السيد الطباطبائي وأخيه بعد وفاة والدهما من قبل الوصي عليهما خالهما السيد محمد باقر القاضي.

السيد الطباطبائي لها دلالة خاصة حول صدق تعلق قلب الطباطبائي بالعلم، والإصرار على تحصيله. يقول الطهراني^(١): «ذكر لي الصديق الكبير الشيخ صدر الدين الحائري الشيرازي، أن الشيخ أقا البهلواني النمكي كان ينقل عن العلامة الطباطبائي قوله: إنه عندما كان صغيراً كان فكره لا يستوعب جيداً ولم يكن يفهم مطالب الأستاذ كما يجب، حتى ذهب أخيراً إلى صحراء وسجد متوسلاً بالله سبحانه وتعالى قائلاً: إما الموت أو الفهم.

ويضيف الحائري: وكنت أترصد الفرصة المناسبة حتى أسأله عن هذا الموضوع لتتوضح هذه المسألة لأنها تتعلق بعدم فهمه، وحتى لا تصدر كلمات وجمالات فيها سوء أدب لا تليق بشأنه ومقامه، إلى أن جاء العلامة في سفر إلى شيراز مع صهره، إنتهزت فرصة هدوء المجلس بتمام معنى الكلمة حيث كنت جالساً لوحدي معه، وابتدأت تدريجياً بطرح المسألة؛ إذ قلت: هل أنت مستعد للإجابة إذا كان عندي سؤال؟ قال: وما الضرر في ذلك، إن كنت أعلم أجيب.

قلت: المسألة تتعلق بكم شخصياً، إذا كنت حتماً تعرف وتجب أسأل، وإلاّ أصرف النظر عن سؤالي. قال: إن كنت أعرف أجيب. قلت: لقد سُمع أنه عندما كنت في سن الطفولة لم تكن تدرك الدروس حتى سجدت بعدها سجدة فشملتك عناية الله سبحانه وتعالى حتى استطعت أن تحصل على جواب أصعب المسائل العلمية، أكان ذلك؟

وما إن قلت هذه الجمالات حتى رأيت حالة العلامة قد تغيّرت وأصبح لون وجهه متجهماً لدرجة أنني خجلت إلى حدّ ما من سؤالي،

(١) الشمس الساطعة، م.ن، ص ٣٤ - ٣٥.

قال وهو في هذه الحال: والآن، حيث لا بدّ من الإجابة حسب الاتفاق، أقول: عندما كنت أدرس كتاب (السيوطي) في تبريز أجرى لنا أستاذنا امتحاناً لم أوفق فيه، فقال لي الأستاذ: لا تعطل نفسك ولا تعطلنا. . وقد انفعلت جداً من كلام الأستاذ هذا وخرجت من تبريز إلى قم، حيث قمت بعمل وتفضل الله عليّ، وسكت ولم يقل شيئاً. فقلت له من ذلك الوقت: لم يبق لديك أي مسألة لا تنحل، ومهما كانت عويصة تجد لها حلاً؟ أجاب: إلى الآن هذا ما حصل.

الظاهر من هذه الرواية أن الحادثة التي جرت مع العلامة الطباطبائي وأستاذه إنما كانت أثناء تحصيله للمرحلة الأولى (المقدمات)، ذلك أن كتاب (السيوطي) المشار إليه في الحادثة هو عبارة عن شرح متن ألفية ابن مالك، وهذه الألفية كانت ولا زالت تدرس حتى الآن في جملة علوم اللغة العربية في مرحلة المقدمات.

٣ - المرحلة الثالثة^(١): وهي التي تقوم مقام الدراسات العليا، والتي يعبر عنها بمرحلة (الخارج)، وفي هذه المرحلة يعتمد الطالب على نفسه بالتحضير والإعداد من غير أن يتقيّد بمصدر علمي خاص، فيجمع مادة المحاضرة من فقه أو أصول أو تفسير، ثم يراجع أقوال العلماء في هذه المادة، وبعد ذلك يحاول الطالب أن يستخلص لنفسه رأياً خاصاً في هذه المسألة بعد إجراء موازنة وترجيح بين آراء العلماء، فإذا فرغ من هذا الإعداد حضر البحث الخارجي ليستمع إلى توجيهات الأستاذ في دراسة المادة المتفق عليها، والبحث عن أطرافها وعمما

(١) الطباطبائي ومنهجه في تفسير الميزان، م.م، ص ٤٦. وانظر:

Khaliji, Mohsen, introduction a la connaissance de l'islam, Qum, librairie ansari-yan, 2002, page 11/18.

يتصل بها، وما يمكن أن يصلح دليلاً لها، ويختلف الأستاذ كثيراً عن طلابه في صياغة الدليل وإعداد البحث ومناقشة الآراء، والرأي الذي يتبناه، وقد ينزل عند رأي طلابه أحياناً.

ويستمر الطالب على هذا النمط الخاص من الدراسة في الفقه والأصول أو التفسير حتى يبلغ مرحلة الاجتهاد. وفي الوقت الذي يقوم به أيضاً بإدارة حلقات دراسية خاصة في مرحلة المقدمات، وعندما يبلغ الطالب مرحلة الإجتهد، ويطمئن إليه الأستاذ في البحث، والاستنباط، وصوغ الدليل، والجمع بين الأحاديث ووجوه الرأي، ومناقشة الأقوال يشهد له بالاجتهاد فيستقل الطالب بالاجتهاد، وإبداء الرأي والتوجيه. وخلال هذه المراحل الثلاث يتعاطى الطالب أطرافاً من الثقافات الأخرى كالفلسفة والعرفان وغيرهما.

وتتميز المرحلة الثالثة بخصوصية، لأنه في أثناء تحصيلها تتبلور شخصية الطالب العلمية من خلال الجهد المبذول، والمثابرة على طلب المعرفة والعلم، الأمر الذي يمكن معه تميّز الطالب عن أقرانه، وهذا ما حدث مع الطباطبائي؛ إذ انتقل لتحصيل مرحلة الخارج من تبريز إلى النجف عام (١٣٤٣هـ - ١٩٢٣م)، ومكث هناك مدة عشرة أعوام أي لعام (١٣٥٣هـ - ١٩٣٣م)^(١).

وطوال هذه المدة، كان يتنقل الطباطبائي بين الأساتذة المبرزين والمشهود لهم بالألمية كل بحسب اختصاصه؛ إذ أنه درس الفقه والأصول عند أساتذة أعلام منهم: النائيني^(٢)،

(١) الطباطبائي ومنهجه في تفسير الميزان، م.م، ص ٤٩.

(٢) هو الشيخ محمد حسين النائيني الغروي، وكان يعد في الطراز الأول من العلماء ومراجع التقليد، وكانت حوزة بحثه من أكبر مجالس البحث في النجف. =

والكمباني^(١)، والأصبهاني^(٢). ودرس علوم الرياضيات عند السيد أبي القاسم الخونساري^(٣)، الذي كان من أشهر علماء الرياضيات في عصره، أما في المعارف الإلهية والأخلاق وفقه الحديث، فقد درس عند العارف الميرزا علي القاضي^(٤).

وأستأذه الوحيد في الفلسفة هو الحكيم السيد حسين البادكوبي^(٥) حيث درس عنده مع أخيه السيد محمد حسن الطباطبائي، كتاب

= انظر: أعيان الشيعة، م.م، ج ٤، ص ٢٥٨. أو الطباطبائي ومنهجه في تفسير الميزان، م.ن، ص ٤٧.

(١) هو الشيخ محمد حسين بن الحاج محمد حسن معين التجار الأصفهاني النجفي الشهير بالكمباني من أعظم العلماء وأجلاء الفلاسفة.

أنظر: الطباطبائي ومنهجه في تفسير الميزان، م.ن، ص ٤٨.

(٢) هو السيد أبو الحسن الأصبهاني فقيه متبحر من أبرز أساتذة حوزة النجف آنذاك، ذكره الطهراني وعده في جملة أساتذة الطباطبائي.

أنظر: الشمس الساطعة، م.م، ص ٢٤.

(٣) هو السيد أبو القاسم جعفر بن مهدي الموسوي الخونساري عالم أديب ورياضي.

أنظر: الطباطبائي ومنهجه في تفسير الميزان، م.س، ص ٤٨.

(٤) هو السيد ميرزا علي آغا بن الميرزا حسين بن الميرزا أحمد بن الميرزا رحيم الطباطبائي التبريزي القاضي، عالم مجتهد، تقي ورع، أخلاقي فاضل. وقد برع في الفقه والأصول والحديث والتفسير وغيرها.

انظر: الطباطبائي ومنهجه في تفسير الميزان، م.م، ص ٤٨. وأيضاً: في الشمس الساطعة، م.م، ص ٢١ وما بعدها، حيث ذكر الطهراني مدى تأثير الطباطبائي بهذا الأستاذ.

(٥) هو السيد حسين بن رضا بن موسى الحسيني البادكوبي من أجلاء العلماء وأفاضل الفلاسفة، اشتهر بالفلسفة والعلوم العقلية، وعرف بالمهارة والخبرة والتحقيق والتدقيق، وسطع نجمه في الأوساط النجفية والأندية العلمية.

انظر: الطباطبائي ومنهجه في تفسير الميزان، م.س، ص ٤٨. كما ذكره الطهراني في الشمس الساطعة، م.س، ص ٢١.

(الأسفار) وكتاب (المشاعر) لصدر الدين الشيرازي المشهور بملا صدرا، وكتاب (الشفاء) لابن سينا المشهور بالشيخ الرئيس.

ولم تنحصر إهتمامات السيد الطباطبائي، واجتهاده المتواصل في الفقه والأصول وعلوم اللغة العربية، وإنما تعداها إلى دراسة دورة كاملة في الرياضيات القديمة من (الأصول) لإقليدس إلى (المجسطي) لبطليموس، وكذلك علوم الفلسفة والكلام والعرفان^(١).

وطوال مدة دراسته هذه، كان يحاط بالعناية الخاصة من قبل أساتذته، الذين كانوا يرون بهذا الطالب شخصية علمية فريدة، ستحظى بالإهتمام والتقدير في المستقبل.

وقد ذكر الطهراني جانباً من هذا الأمر، حيث قال: «كان المرحوم الحكيم بادكوبي يولي العلامة اهتماماً خاصاً، وقد أمره أن يدرس الرياضيات، لأجل رفع قدرته في الإستدلال والبرهان»^(٢).

بالإضافة إلى ما تقدم، نقل الطهراني جملة من العلوم التي درسها الطباطبائي وتميّز بها، بدون ذكر أسماء الأساتذة الذين أخذ عنهم الطباطبائي هذه العلوم، ولم نجدها - بحسب اطلاعنا - مذكورة في مصدر آخر، لذا أوردناها كما جاءت عن الطهراني، حيث قال: «كان العلامة أستاذاً في تشخيص الخطوط القديمة وخطوط أساتذة الفن، وكان يعرف خطوط المشهورين بأسلوب فريد، بحيث كان الأساتذة المختصين بالخط يرجعون إليه أحياناً، فكان يقول على الفور: هذا الخط لفلان»^(٣).

(١) الطباطبائي ومنهجه في تفسير الميزان، م.س، ص ٤٩.

(٢) الشمس الساطعة، م.س، ص ٢١.

(٣) م.ن، ص ١٩.

كما كان للعلامة إطلاع على العلوم الغربية كالرّمل والجفر، ولكنه لم يرَ ممارساً لها قط، كما كانت له مهارة عجيبة في علم الأعداد وحساب الجمل والأبجد وطرقه المختلفة.

وفي الجبر والمقابلة والهندسة الفضائية كانت له حصة وافرة، إضافة إلى الهندسة المسطحة والرياضيات الإستدلالية، وكان أستاذاً في علم الهيئة القديمة بحيث كان يمكنه إستخراج التقويم بسهولة ويُسر^(١).

ونتيجة هذا التفاني في طلب العلم من قبل العلامة الطباطبائي، كان من الطبيعي أن يصل إلى مرحلة ثقة الأساتذة به، حيث قاموا بمنحه الإجازة بالإجتهد، نذكر منهم: إجازة في الإجتهد والرواية عن الأستاذ الشيخ محمد حسين النائيني، وإجازة بالرواية عن الشيخ علي القمي عن شيخه النوري صاحب المستدرک على وسائل الشيعة، وعن الشيخ عباس القمي صاحب المفاتيح عن شيخه النوري صاحب المستدرک بجميع طرقه المذكورة في آخر المستدرک.

وعن البروجردي عن شيخه الخراساني صاحب الكفاية في علم الأصول بطرقه المتصلة بالسيد بحر العلوم.

وعن السيد محمد الحجة، وعن الميرزا علي أصغر الملكي، وعن السيد حسن الصدر، وعن رجال آخرين غيرهم^(٢).

(١) الشمس الساطعة، م.م، ص ٢٠.

(٢) قمنا بنقل جملة هذه الإجازات عن الطباطبائي ومنهجه في تفسير القرآن، م.م، ص ٥١.٤٩، على أساس أن العلامة الطباطبائي قد قام بتزويد الدكتور علي الأوسي برسالة ذكر فيها هذا الأمر، وهي بخط يد الطباطبائي وموثقة بالكتاب المذكور، وقد قام المصنف بذكر أحوال هؤلاء العلماء، إلّا أننا ارتأينا الاختصار وعدم الإطالة واكتفينا بالعرض المذكور.

بناءً على ما تقدم، نلاحظ أن العلامة الطباطبائي قد أولى عناية خاصة للعلوم الرياضية والعقلية الصرفة إلى جانب باقي الاختصاصات الأخرى، وهذا ما عزّز ثقافته العلمية النظرية، ووسمها بالسمة الفلسفية التي تتوسل الاستدلالات والبراهين المنطقية، والتي تقوم أساساً على العلوم العقلية. وهذا ما تبلور لاحقاً في المنهج الذي انتهجه الطباطبائي والذي سوف نتحدث عنه لاحقاً.



تلامذته:

بعد انقضاء فترة التحصيل العلمي العالي في النجف، والتي استمرت لمدة عشر سنوات نال العلامة الطباطبائي درجة الاجتهاد، كما سبق وذكرنا، عاد بعدها إلى مسقط رأسه تبريز لينصرف إلى التدريس أو التأليف حسب اعتقادنا، والأمر الذي يعضد هذا الاعتقاد:

١ - الرواية التي نقلها الطهراني حيث قال: «قال لي الصديق الكريم السيد محمد علي نجل آية الله الميلاي: كنت يوماً في معية أبي وأعمامي، فاستأجرنا عربة تجرها الخيول من تبريز، فركبنا فيها، وسرنا إلى القرية التي كان العلامة الطباطبائي يقطنها (شاد آباد).

وكان أعمامي قد تحدثوا مع أبي في موضوع القبلة، ولم تكن بوصلة معرفة القبلة قد استعملت بعد.

ثم إن أعمامي سألوا أبي في الطريق خلال سير العربة: أي شخصية هذا الذي تذهب إليه من تبريز في عربة؟!

فأجاب أبي: هو الذي كان في هذه المسألة أستاذاً فريداً^(١).

(١) الشمس الساطعة، م.م، ص ١٥ من الحاشية.

ومنطوق هذه الرواية يدل على الأهمية العلمية التي حازها العلامة الطباطبائي حيث جعلت منه مرجعاً وملاذاً لبعض المجتهدين من أمثال الميلاني.

٢ - صدور كتاب (تفسير البيان في الموافقة بين الحديث والقرآن) بستة أجزاء في العام ٢٠٠٦، حيث اعتبر محقق هذا الكتاب أن العلامة الطباطبائي قد قام بتأليفه في تبريز بعد رجوعه من النجف، وقبل إصدار كتابه المشهور (الميزان في تفسير القرآن)^(١).

وعلى إثر اندلاع الحرب العالمية الثانية في العام ١٣٦٥ هـ / ١٩٤٤ م، ونتيجة لقرب تبريز مكان إقامة الطباطبائي من أذربيجان المحاذية للحدود الروسية التي كانت قد انخرطت في تلك الحرب، أثر العلامة الطباطبائي الانتقال إلى قم وحوزتها البعيدة نسبياً عن مناطق الحرب.

بعد وصوله إلى قم بدأ فيها بتدريس الفلسفة والتفسير، فتنبّه طلاب العلوم إلى ما لديه من علوم ثرة في مجال اختصاصه، وبعد فترة يسيرة سطع نجمه واحتلّ المكانة اللائقة بين تلك الجموع، وحفّ به جمع من الطلاب، وأصبح أحد الأعلام المدرّسين، ومن أركان الحوزة العلمية بقم، يحضر درسه ويستفيد من علومه جمع كثير من مختلف الطلاب.

وعن هذه المرحلة، يقول الطهراني: «... بعد وصولي إلى قم لتحصيل العلوم الدينية، حللت في حجرة بمدرسة حجّت، التي عرفت لاحقاً بالمدرسة الحجّية، حيث هناك بدأت بالدرس والبحث والمطالعة.

(١) الطباطبائي، محمد حسين، تفسير البيان في الموافقة بين الحديث والقرآن، تح أصغر إرادتي، دار التعارف، ط ١، ٢٠٠٦، ص ٢٦.

وكان في نية الشيخ حجّت مشروع توسيع لهذه المدرسة، لذا استعان بالعديد من المهندسين الذين قدموا من طهران وغيرها، وقاموا بوضع التصاميم والخرائط المختلفة، إلّا أن أياً منها لم يحظ بموافقة الشيخ حجّت، إلى أن شاع خبر مفاده، أن سيداً قدم من تبريز أعد تصميمًا حاز على رضا الشيخ وإقراره، فكنا في غاية الشوق واللهفة لرؤية هذا السيد.

وكنا من جهة أخرى متلهفين لدراسة الفلسفة، فسمعنا أن ذلك السيد الذي قدم من تبريز وصمم خارطة بناء المدرسة، ضليع في الرياضيات والفلسفة، وقد بدأ بتدريس الفلسفة في الحوزة.

فازداد شوقنا لرؤيته ولقائه، وكنا نترصد الفرصة للذهاب إلى منزله واللقاء به بذريعة ما، ولم تمض فترة حتى شكلت عودة العلامة الطباطبائي من زيارة قام بها إلى مشهد الفرصة التي كنا ننتظرها، وما إن دخلنا إلى منزله، حتى فوجئنا بأن هذا الرجل المعروف المشهور هو نفس ذلك السيد الذي كنا نلتقيه يومياً في الأزقة في غدونا ورواحنا، والذي لم نكن لنحتمل أبداً أن يكون من أهل العلم، فضلاً عن التبحر في العلوم.

تعانقنا وجلسنا، وتطرق الحديث إلى بعض المسائل حول جهات عدة، فرأينا أن الأمر ليس كما يتصوره المرء، فهذا الرجل في الحقيقة عالم عظيم في العلم والدراية والإدراك والفهم، وقد حصلت لنا حالة عظيمة من الوله والتعلق به في ذلك المجلس، فسألناه أن يعطينا درساً خصوصياً في الفلسفة، حتى نتمكن من طرح ما نريده بحرية خلال الدرس، فوافق في منتهى اللطف.

والخلاصة، فلقد شرع في تدريسنا درس الفلسفة في قاعة التدريس

في المدرسة، ومع أنه كان من المقرر أن يكون الدرس خصوصياً، إلا أن الطلاب إطلعوا على الأمر، فحضر في اليوم الأول ما يقرب من مائة منهم ملئوا القاعة وبدأ السيد بالتدريس.

... وبالإضافة إلى درس الفلسفة، فقد كان يلقي سلسلة من الدروس في الهيئة القديمة (علم الفلك) وشرع أيضاً بتدريس تفسير القرآن...^(١).

وحول نفس الموضوع يقول مرتضى مطهري: «أنفق العلامة الطباطبائي عمره في تحصيل الفلسفة وتدريسها، وأحاط بآراء ونظريات الفلاسفة المسلمين الكبار، كما أنه استوعب بدافع فطري وذوق طبيعي أفكار الفلاسفة المحققين في أوروبا، كذلك نهض بعبء تدريس الفقه والأصول وتفسير القرآن... وبالإضافة إلى هذا، فهو انفرد بتدريس الحكمة الإلهية في الحوزة العلمية في قم... وقد حضرت جانباً من دروسه الفلسفية، واستفدت من هذه الدروس الشيء الكثير»^(٢).

ولم يقتصر نشاط العلامة الطباطبائي بالتدريس في حوزة قم، بل توسّع نشاطه حتى وصل إلى العاصمة طهران، حيث تمّ الاتصال بينه وبين الباحثين في العلوم الإسلامية في جامعة طهران، في الوقت الذي كان يجري لقاء سنوي بينه وبين هنري كوربان أستاذ الفلسفة في جامعة السوربون بحضور جمع غفير من العلماء في جامعة طهران والحوزة العلمية في قم، وقد دار البحث فيها حول المسائل المختلفة في الدين والفلسفة ومسائل أخرى.

(١) الشمس الساطعة، م.م، ص ١١ - ١٥.

(٢) أسس الفلسفة والمذهب الواقعي، م.م، ص ٢٣ من مقدمة الدكتور مرتضى المطهري.

وهذه اللقاءات هيأت الظروف المناسبة لتدوين وطباعة كتاب (أسس الفلسفة والمذهب الواقعي)^(١).

وعليه، يمكن القول أن المكانة العلمية الرفيعة التي احتلها الطباطبائي، ولتعدد حلقات دروسه العلمية في التفسير والفلسفة والفقه والأصول وغيرها، راح عدد كبير من فضلاء الحوزة وطلابها يختلفون إلى حلقاته، ويتفياون ظلال علومه، فتتلمذ عليه عدد كبير، وجمع غفير منهم نهلوا من علومه، وانتفعوا بأفكاره السديدة.

وكان من ألمع تلامذته، الشيخ د. مرتضى مطهري الذي سطع نجمه في مجالات كثيرة، وقام بالتدريس في جامعة طهران.

وأيضاً برز من تلامذته السيد محمد الحسين الطهراني صاحب كتاب (الشمس الساطعة).

كما برز على مستوى القيادات والشخصيات الفكرية الكثير من أمثال الدكتور بهشتي^(٢)، والدكتور مفتاح^(٣).

(١) أسس الفلسفة والمذهب الواقعي، م.م، ص ٢٤ - ٢٥، أنظر أيضاً الشمس الساطعة، م.م، ص ٥٧ - ٥٨.

(٢) وهو الدكتور محمد حسيني بهشتي، ولد في أصفهان في إيران عام ١٩٢٨م، استشهد عام ١٩٨١ في حادثة تفجير مركز حزب (جمهوري إسلامي) الذي كان يتزعمه. كان يشغل منصب رئيس المحكمة العليا في إيران بعد انتصار الثورة الإسلامية، يعتبر من المؤسسين للثورة الإسلامية الإيرانية، وأحد الوجوه البارزة والمعروفة في بلاده. تلقى علومه الدينية في قم على يد آساتذة مشهورين أبرزهم كان الإمام الخميني والعلامة الطباطبائي، ومن ثم انتقل إلى جامعة طهران حيث درس فيها ونال شهادة الدكتوراه. قال عنه الإمام الخميني بعد استشهاده: «كان بهشتي أمة».

(٣) وهو الدكتور محمد مفتاح، ولد عام ١٩٢٨م في مدينة همدان الإيرانية. هاجر =

وعلى مستوى الأساتذة في الحوزة العلمية في قم، برز كل من: الشيخ الجوادى الآملى، والشيخ المحمدي، والشيخ مصباح اليزدي وغيرهم^(١).

والكثير الكثير من الذين تتلمذوا ولا يزالون عليه بشكل غير مباشر، من خلال الآثار العلمية التي تركها في دائرة العلم والمعرفة الإنسانية والفلسفية، والتي سنتعرض لها في سياق البحث.

وأخيراً، هنالك نقطة لا بد من الإشارة إليها، وهي: أنه نتيجة لمناحي الطباطبائي الفكرية والمستوى العلمي الذي تميز به، فقد ذاع صيته في إيران ومنها إلى أمريكا، مما حدى ببعض المفكرين الطلب من شاه إيران آنذاك (محمد رضا) التدخل لإقناع الطباطبائي بالسفر إلى أمريكا لتدريس الفلسفة الشرقية هناك، وقد طلب الشاه هذا الأمر من البروجوردي باعتباره زعيم الحوزة الدينية وما لهذه الزعامة من تأثير

= إلى قم عام ١٩٤٣م وتلقى علومه الدينية على يد كبار الأساتذة أمثال الإمام الخميني والعلامة الطباطبائي والداماد وغيرهم، ثم انتقل إلى التدريس حيث نالت دروسه، خصوصاً الفلسفة منها شهرة وأضحت مورد إقبال فضلاء الحوزة. ومن ثم التحق بجامعة طهران حيث نال منها شهادة الدكتوراه في الفلسفة. وساهم والدكتور بهشتي وآخرين بالتأسيس للثورة الإسلامية الإيرانية بقيادة الإمام الخميني. سجن أكثر من مرة ونفي ومنع من دخول محافظة خوزستان وقم أكثر من مرة. استشهد بإطلاق الرصاص عليه من قبل جماعة (فرقان) عام ١٩٧٩م، م.ن.

(١) الطباطبائي ومنهجه في تفسير الميزان، م.س، ص ٥٢.
راجع أيضاً: أسس الفلسفة والمذهب الواقعي، م.م، ص ٢٣ - ٢٤، وأيضاً: الشمس الساطعة، م.س، ص ١١ - ١٣.

كذلك انظر: ENotes.com, study smarter, Muhammad Husayn Tabatabaei,

. Biography section

معنوي، فعرض البروجوردي هذا الأمر على الطباطبائي الذي رفض هذا العرض ولم يقبل به^(١).



آثاره العلمية:

اهتم العلامة الطباطبائي بالتأليف اهتماماً بالغاً، وهذا ما يفسّر هذا الكم من المؤلفات التي خلفها وراءه؛ إذ أنه كان يحرص أشد الحرص على طباعة مؤلفاته، ولهذا الغرض كان يكلف أحد طلابه القيام بهذا الأمر، كما حصل مع الدكتور مرتضى مطهري الذي قام بنقل وتدوين كتاب (أسس الفلسفة) والتعليق عليه، أو من خلال متابعتة شخصياً لهذا الموضوع.

ويعود أمر هذا الإهتمام برأينا إلى سببين:

الأول: الواجب الشرعي الديني، بصفته قد حاز درجة الإجتهد مع ما تحمله وتعنيه هذه الدرجة، إذ لا بدّ في عالم الإجتهد أن يكون المجتهد صاحب رأي خاص في موضوع معيّن، أو عدة مواضيع تقتضي طبيعة هذا التميز بالرأي من تسطيره وتدوينه حتى يكون مرجعاً معتمداً في هذا المجال.

الثاني: طبيعة البيئة الثقافية التي نشأ وعاش فيها، إن لجهة المناهل الفكرية التي ارتوى من معينها، أو لجهة الأجواء الثقافية التي كانت سائدة في عصره - والتي سنحاول شرحها - حيث استطاع من موقعه

(١) الشمس الساطعة، م.م، ص ٤٣.

كمجتهد أن يشخص بعض هذه الثغرات، فقام بالتصدي لها من خلال بعض هذه المؤلفات.

إلا أنه لا بدّ من الإشارة إلى أمر مهم جداً في موضوع آثار أو مؤلفات الطباطبائي: إذ لم ترَ كل مؤلفات الطباطبائي النور، ويعود هذا الأمر برأينا، إلى جملة من الأسباب منها ما هي معلومة، ومنها ما هي مظنونة أو مجهولة:

١ - أما المعلومة، فقد أورد الطهراني: «أن العلامة الطباطبائي قد قام بوضع كتاب في علم الموسيقى، والروابط المعنوية للروح والصوت وحركته في الأذن، وأن هذه الرسالة نفيسة، لم يسبق لها مثيل في عالم اليوم، وبديعة في جميع الجهات، لكنه خشي بعد إنهاؤها من أن تقع بيد غير أهلها فيستغلونها، ولهذا لجأ إلى إتلافها»^(١).

٢ - وأما المظنونة، ما أورده الطهراني أيضاً: «أن العلامة الطباطبائي كان يعتقد بأن العلامة المجلسي صاحب (بحار الأنوار) له مقام علمي وسعة إطلاع، وطول باع، لكنه مع اجتهاده وبصيرته في فن الروايات والأحاديث، لم يكن مطلعاً على المسائل الفلسفية العميقة، ولهذا وقع في العديد من الإشتباهات في بعض البيانات التي قدّمها، مما أدى إلى هبوط مستوى هذه الموسوعة.

وكان من المقرر أن يطبع (بحار الأنوار) في طبعة جديدة تحت إشراف الطباطبائي وتعليقاته في الأمكنة المناسبة.

وبالفعل قام بهذا العمل، وكتب تعليقاته إلى الجزء السادس من الطبعة الجديدة، ولكن نظراً لرفضه لبعض آراء العلامة المجلسي بشكل

(١) الشمس الساطعة، م.م، ص ٣٨.

صريح، قام الناشر، بناء على تدخلات خارجية، بالطلب من العلامة الطباطبائي التخفيف من الكلام في بعض الأماكن، الأمر الذي رفضه الطباطبائي قائلاً: لست مستعداً أبداً أن أستبدل الأئمة المعصومين عليهم السلام بالعلامة المجلسي، وما أراه ضرورياً في مكانه فسوف أكتبه، ولن أرفع كلمة واحدة.

ولهذا طبعت معظم أجزاء البحار بدون تعليقات العلامة الطباطبائي، وبقي هذا الأثر النفيس بدونها^(١).

٣ - وأما المجهولة، هو عدم قيام الطباطبائي بطباعة كتابه (تفسير البيان في الموافقة بين الحديث والقرآن)^(٢) رغم إنجاز له في تبريز هذه الفترة الواقعة ما بين (١٣٥٣هـ - ١٩٣٣م) و(١٣٦٥هـ - ١٩٤٤م)، وطوال مدة إقامته في قم لحين وفاته في العام (١٤٠٢هـ - ١٩٨١م).

ومن الجدير ذكره قبل بيان وعرض مؤلفات الطباطبائي أن معظم الذين اشتغلوا على الطباطبائي وترجموا له، قد وقعوا في شبهة، حيث عدوا بعض العناوين المطبوعة والمقتبسة من بعض مؤلفات الطباطبائي، عناوين مستقلة بذاتها^(٣).

(١) الشمس الساطعة، م.م، ص ٥٢ - ٥٣.

(٢) تفسير البيان في الموافقة بين الحديث والقرآن، م.م.

(٣) راجع مثلاً: جابر آل صفا، علي، نظرية المعرفة، دار الهادي، بيروت، ط ١، ٢٠٠١، ص ٤٦. حيث عدّ عنوان (المخلوقات الخفية في القرآن) و(ماذا بعد الموت)، من جملة مؤلفات الطباطبائي المستقلة، في حين أنها تقع في جملة المطالب والأبحاث التي عالجها الطباطبائي في (الميزان في تفسير القرآن). انظر مثلاً: الميزان، ج ٢٠، ص ٤٢ وما بعدها، موضوع المخلوقات الخفية ومنها الجن. انظر أيضاً: الميزان، ج ٣١، ص ٢٠٥ وما بعدها، موضوع بعد الموت.

أو أنهم قاموا بتفكيك بعض المؤلفات إلى مقالات مستقلة بعناوينها^(١)، مع العلم بأن هذه المقالات مجموعة في مؤلفات تعالج مواضيع معينة، وهذه المؤلفات تمّ طبعها بإشراف العلامة الطباطبائي بشكل مباشر أو غير مباشر، كما حصل مع الدكتور مرتضى مطهري في مسألة كتاب (أسس الفلسفة والمذهب الواقعي).

أو أن البعض قام باستنساخ جملة من أبحاث العلامة الطباطبائي أو بعضها، ثم قام بطبعها وإصدارها تحت عناوين خاصة، واللطيف في الأمر أنهم وضعوا عبارة (جميع الحقوق محفوظة) في بداية هذه المؤلفات المستنسخة^(٢).

(١) راجع مثلاً: الطباطبائي ومنهجه في تفسير الميزان، م.م، ص ٥٥. حيث قام المصنف بتفكيك المقالات المعنونة باسم (المباحثات العلمية مع البروفيسر هنري كوربان) وأفرد لكل مقالة عنواناً خاصاً مستقلاً، وجعلها في جملة أعداد مؤلفات العلامة. مثال ذلك: عدّ كل المقالات التالية كعناوين مستقلة وهي: الشيعة في الإسلام، معنوية التشيع، مدرسة التشيع، في حين أن كل هذه المقالات مرتبطة موضوعياً ببعضها ومجموعة كفصول في كتاب واحد سبق ذكره ويقع في مجلدين، وكتب بالفارسية، ترجم منه مقالة الشيعة في الإسلام، ورسالة التشيع في العالم المعاصر، والشيعة.

(٢) راجع مثلاً: الشريعة والحقيقة، الذي هو عبارة عن رسالة الولاية للطباطبائي، إصدار مركز باء للدراسات. أو قربان الأتقياء، الذي هو عبارة عن بحوث خاصة بالطباطبائي تمّ ذكرها في الميزان عند مروره بتفسير كلمة (الصلاة)، إصدار مركز باء للدراسات أيضاً. أو الرسائل التوحيدية، والتي هي عبارة عن مجموعة مؤلفة من سبعة رسائل للعلامة الطباطبائي، صادرة عن مؤسسة النعمان للطباعة والنشر. أو قضايا المجتمع والأسرة والزواج، والتي هي عبارة عن بحوث أخلاقية واجتماعية وردت في الميزان، صدر هذا العنوان عن دار الصفوة. وهكذا العديد العديد من هذه النماذج.

بيد أنه يمكن توثيق مؤلفات العلامة الطباطبائي - بحسب ما أمكننا استقصاؤه، وبالإعتماد على بعض المراجع التي سوف نذكرها - على الشكل التالي:

أ - ما كتب بالعربية.

ب - ما كتب بالفارسية وترجم إلى العربية.

ج - ما كتب بالفارسية ولم يترجم.

أ - ما كتب بالعربية:

١ - الميزان في تفسير القرآن، ويقع في عشرين مجلداً. (أ)

٢ - تفسير البيان في الموافقة بين الحديث والقرآن، ويقع في ستة مجلدات.

٣ - بداية الحكمة. (أ)

٤ - نهاية الحكمة. (ب)

٥ - تعليقات على كتاب أصول الكافي، للكليني. (أ)

٦ - تعليقات على كتاب بحار الأنوار، للمجلسي. (أ)

٧ - الأعداد الأولية في الرياضيات. (أ)

٨ - علي والفلسفة الإلهية. (أ)

٩ - رسالة في الولاية. (أ)

١٠ - رسالة في الوسائط. (أ)

١١ - رسالة في النبوءات والمنامات. (أ)

١٢ - رسالة في المغالطة. (أ)

١٣ - رسالة في القول والفعل. (أ)